ثلاث قصائد جديدة

عبد الزهرة زكي

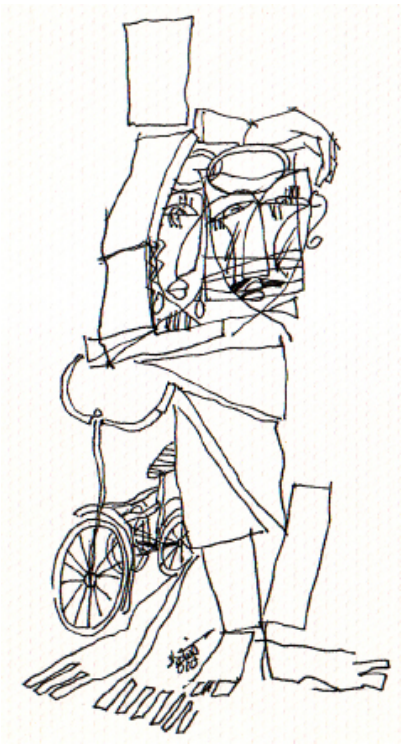

في فم الصقر

إلى سركون

في فم الصقرِ المُحلّق
السمكةُ تستغيثُ وتحاول..

الموتُ
بينَها وبينَ الفم المطبق عليها
فيما فراغٌ من الحياة..
بينَها وبينَ المياهِ التي تحتَها.

لكنَّ الصقرَ الذي يتهاوى من أعاليه
ميتاً
ما زالَ فمُهُ مطبقاً على السمكة
وهي تهوي مع الصقرِ إلى موتِهما.

حياتي الحقّة

حياةٌ لي في الشرفةِ كانت.

حياةٌ ثانية كانت لي تحتَ الشرفة،
في الشارعِ/في الساحةِ/قرب
الصحراء.

لكنَّ حياةً أخرى سواهما
كانت لي...

وطءٌ ثقيل

بعدَ نهارٍ صاخب،
يؤوبون..
في أولِ الليلِ
منصرفين عن الساحة،
وقد خلفوا عليها الوطءَ الثقيلَ
لأقدامهم.

الساحةُ في الظلام،
خاليةٌ..
موحشةٌ،
يمرُّ عليها الهواءُ خفيفاً..
ويمرّ السكونُ صامتا.

الساحةُ تهجعُ، وحدها، في ليلها.
.....
وفي انتظارِ نهارٍ آخر،
ليس لها سوى
ذكرياتٍ ثقيلةٍ عن وطءِ أقدامهم.

بعد ترشيح روايتها الأولى لجائزة البُوكَر العربية

حوراء النداوي: فرحتي هادئة، وروايتي الأولى ليست سيرة ذاتية

حوراء إياد النداوي قاصة وروائية عراقية من مواليد بغداد ١٩٨٤. تعرّض والداها للسجن بعد بضعة أشهر من ولادتها فاضطرت وهي، الرضيعة آنذاك، الى أن تقضي قرابة عام ونصف العام مع والدتها في سجون النظام المباد. أُخلي سبيلهم في العام ١٩٨٦ حينما شملهم العفو العام كونهم من ذوي الأحكام الخاصة. وخشية من أن يُزج بهم في السجن ثانية غادروا العراق عام ١٩٩١ واستقر بهم المقام في الدنمارك حيث بدأت تتلقى تعليمها في المدارس الدنماركية، أما اللغة العربية التي بدأت تكتب بها نتاجاتها الإبداعية لاحقاً فقد تعلّمتها في المنزل بمساعدة والديها اللذين يجيدان أكثر من لغة.

حاورها في لندن: عدنان حسين أحمد

انتقلت مع أسرتها إلى لندن عام ٢٠٠٦، حيث تدرس اللسانيات، وتطمح لأن تتخصص باللغة العربية في المستقبل القريب. صدرت روايتها الأولى التي تحمل عنوان (تحت سماء كوبنهاغن) عام ٢٠١٠، وقد رُشحت ضمن القائمة الطويلة لجائزة البُوكَر للرواية العربية. ونظراً لأهمية هذه الرواية التي أثارت جدلاً واسعاً بين أوساط المثقفين العراقيين على وجه التحديد ارتأينا أن نحاورها في شكل ومضمون هذه الرواية، ونستجلي أبعاد تجربتها الفنية والحياتية في آنٍ معاً. وفيما يأتي نص الحوار:

×ما حدود إفادتك من سيرتك الذاتية والأسرية، وهل وظفتِ جانباً منها في سياق عملك الروائي الأول (تحت سماء كوبنهاغن)؟

– كان العمل مرتكزاً على محيطي الشخصي، لكنه لم يكن سيرة ذاتية، بمعنى سرد أحداث شخصية صرفة. فالأحداث والشخصيات لا تمتّ لي ولأسرتي بصلة، لكنها كانت مستلهمة من مشاهداتي ومتابعتي لمجتمعنا الصغير في كوبنهاغن آنذاك. وأنا لم أكن لأخجل من ذكر الحقيقة لو كان العمل بالفعل سيرتي الشخصية، لكنه ليس كذلك.

×لم تعتمدي كلياً على البنية السردية التقليدية، بل راهنتِ على تحطيمها في موضعين في الأقل، لقاء الشخصية الرئيسية هدى برافد أول مرة، وتقديم النهاية قبل أوانها. ما الذي حفزّك على هذه المغامرة؟

–الذي حفزني هو عدم اهتمامي بكل ما هو تقليدي و معتاد. لا أميل بطبيعتي للصور النمطية في أي شيء، وأرفض أن أُختزل في إطار كهذا. وانعكس هذا على كتابتي كما يبدو، وكان بإمكاني مثلاً جعل شخصية البطل صورة كغيرها من الشخصيات التي ترسمها لنا البطلة، لكنني آثرت صوته على صورته ليغدو سرده متداخلاً مع سردها. أمّا تداخل الأحداث والماضي بالحاضر فكان كلعبة "البزل" وشكّل لي تكنيكاً ممتعاً في الكتابة. ثم أنني أثق تماماً بأن القارئ لن يترك الكتاب حتى وإن افتضحت النهاية في المنتصف، لأنني أعتمد على ذكائه لا عاطفته وحاجته إلى نهاية يركن بعدها الكتاب مطمئناً.

×يشكّل الدين هاجساً أساسياً في نصك الروائي (تحت سماء كوبنهاغن)، ما المعطيات الفكرية التي دفعتها صوب التشدد والالتزام بالمظاهر الدينية الخارجية في الأقل؟

– التشبث المفاجئ بمظاهر الدين لدى الأسَر غير المتدينة في الأساس كان يلفت نظري غالباً في دول الاغتراب. أظن أنّ الخوف من الآخر هو العامل الأساس لذلك، لاسيما وأنك تتعامل مع مجتمع لا يعترف بالتابو، فإذا كان مجتمعك الذي خلفته في بلدك الأصلي يجبرك أنت وأولادك على الفضيلة فإن المجتمع الغربي ولاسيما الإسكندنافي يبيح لك كل شيء وتقييمه للفضيلة مختلف عن تقييمك. إن التشبث بالدين بكل ما يفرضه من التزامات ومحرمّات سيضمن لهذا المغترب القلق من الانصهار التزاماً بقيم معينة تدور في فلك هذا التابو الشرقي، حتى وإن كان الإيمان به غير حقيقي في أساسه. وسيساعده دائماً لكي يتذكر اختلافه عن المجتمع الذي يعيش فيه، ويتربى أولاده في مدارسه، ويتحدث بلغته ويفكر بطريقته.

×رُشحت روايتك الأولى للقائمة الطويلة لجائزة البُوكر العربية، كيف تلقيت هذا النبأ المُفرح، وما هي الإشارات السريّة التي بثّها في أعماقك وأنت تتلقين هذا الخبر الذي ينطوي على كثير من الدهشة والمفاجأة والترقّب؟

– (تحت سماء كوبنهاغن) هي الرواية الأولى لي، كنت أعتبرها تدريباً على الكتابة لاسيما وأن حافزي كان بريئاً من كل هدف. حين شرعت فيها لم يكن في ذهني غير الكتابة حسب. يمكنني القول بأنني اختبرت معها ما يختبره الكتّاب عادة بعد نشر عدة كتب. فقد نالت الكثير من المطالعة والعرض والنقد، ورُشحت لجائزة مهمة، وبيعت حقوقها للترجمة إلى الدنماركية. وأنا سعيدة بكل هذا، لكن فرحتي هادئة. ربما ما حققته الرواية من نجاح بات يدفعني لطموحات مختلفة الآن.

×كيف تقيّمينَ القراءات النقدية لعملك الروائي الأول الذي لفت الأنظار، وكيف تتعاملين مع القراءات السلبية التي لا تستبطن الرواية وتغوص في تفاصيلها الدقيقة؟

– القراءات السلبية كانت تتناولني غالباً بشكل شخصي وتسقط بعض الشخصيات في الرواية عليّ وهذا أمر غير مهني بتاتاً، لذلك لم أكن لأعيرها الكثير من الاهتمام. أمّا النقد فهو قليل مقارنةً بما كُتب عن الرواية. فما كُتب كان في أغلبه استعراضاً لمحتوى الرواية ومديحاً لمتعة الكاتب أثناء قراءته والقليل من هذه الكتابات غاص في تحليلات نقدية جادة وأظن السبب يعود إلى تشوّه فكرة النقد لدى الكثيرين أو لأنهم ببساطة كانوا يقدمون عرضاً للرواية، وليس في نيتهم النقد. ويسعدني بالطبع أن النقاد الحقيقيين الذين تناولوا الرواية كان لهم باع طويل في النقد مثل الأستاذ مالك المطلبي والدكتور شجاع مسلم العاني والأستاذ علوان السلمان وغيرهم من النقاد الذين أكنُّ لهم ولآرائهم الاحترام.

الطفل في لوحات الرسامين عبر التاريخ:

وقار ملكي، ملامح مأساوية ومرح شيطاني

ترجمة: عدوية الهلالي

مثلما يوجد في كل مجال في الحياة، جانب جاد وآخر مرح أو طفولي، يوجد في الفن التشكيلي فناء رحب للهو والتسلية وذلك بتقديم الأطفال في لوحات الرسم ابتداءً من القرون الوسطى وحتى القرن العشرين، ففي تلك اللوحات يمكن أن نرى حفنة من الأطفال الذين يركضون، يلعبون، يقفزون ويحومون.. البعض يقفون وظهورهم ملتصقة على الحائط وغيرهم يتكئون على حائط أيضا ولكن برؤوس مقلوبة الى الأسفل...الفنانون التشكيليون إذن يصورون الطفولة بجنونها وصخبها لكنهم يرسمون أطفالا عقلاء أيضا والبعض جميل فيهم وبعض منهم يرتدون ملابس الأمراء...

ثلاثة كتاب فرنسيون متحمسون هم ايمانويل بيرنو وسيباستيان الار ونادجا لانيري عكفوا على حل لغز الأطفال في الرسم في كتاب جديد يعنى بدراسة فن الرسم الديني و(الإيقونات والصور) المذهلة بالتحديد..

ففي العصور الوسطى، كان الطفل في الفن التشكيلي يظهر بشكل مهيب ورائع ويعكس صورة طفولة بعيدة جدا عن طفولة... هناك اللوحة التي تصور السيد المسيح طفلا في لفائف بيضاء على سبيل المثال وكأنه شيخ مصغر وهي لرسام فلمنكي (من فلندريا) وصورة أخرى لوجه رسمت ملامحه بالطبشور الأحمر وتعود تلك الملامح للمولود الجديد للملك هنري الثاني وكاثرين ميديسي إضافة الى رسم لإحدى الأمهات وهي تحمل طفلا ملكيا وآخر لحاضنة ملكية أيضا وهي تحتضن طفلا رضيعا..

يشير الكتاب في كتابهم الجديد إلى ذلك السحر المحيط بلوحات الأطفال ومنها تلك العائدة للملك ادوارد السادس في عامه الأول وفيها يشبه صورة هنري الثالث عشر في هيئته الملكية حيث تحيي كفه الصغيرة الممتلئة جمهورا غير مرئي...

بعض فناني تلك اللوحات كما يرى مؤلفو الكتاب توخوا الدقة والوضوح بينما سعى الآخرون الى الكمال بتقديم فن متطور كتلك اللوحة التي يبدو فيها الملك لويس الرابع عشر وهو في سن العاشرة، متباهيا تحت ثقل فرو حيوان السموري وحاملا أزهار الزنبق..أما في القرن العشرين فالأطفال غالبا ما يركضون ويلعبون وتبدو حركاتهم لذيذة جدا حتى من خلال اللوحات الجامدة..

ويشير المؤلفون الثلاثة ايضا الى أساليب أعظم الفنانين التشكيليين في تناول موضوع الطفل في لوحاتهم فهذا ليوناردو دافنشي أشهر وأهم فنان ايطالي في عصر النهضة تميزت لوحاته برسم الملامح المعبرة عن الحالة النفسية لوجوه الشخصيات وبأسلوب تشريحي دقيق للجسم البشري.. أما رامبرانت الرسام الهولندي الذي يعد واحدا من عباقرة الفن في العالم فقد اهتم بوجه الطفل وتعابيره التي كان بارعا في تصويرها، أما الايطالي الشهير تيتيان فقد تميز برسم الألوان المبهجة والأطفال وهم يمرحون في الطبيعة كما منح لوحاته لمسة إنسانية واضحة تتسم بالنبل والمثالية..

من جانبه، كان فرانشيسكو دي غويا احد الأساتذة الأوائل في الرسم الحديث ما جعله رائدا للحركة الانطباعية التي ظهرت في أوائل القرن التاسع عشر وقد جعل موضوعة الطفل جزءا من لوحاته التي تصور الكوارث وفظائع الحرب بأسلوب عنيف يعكس مأساة الشعب الاسباني لدى الاحتلال الفرنسي لاسبانيا...أما سيزان الفرنسي الذي يعد أباً للمدرسة التكعيبية فقد أضفى على الأطفال في لوحاته صلابة وهيبة ووقار يشبههم بالكبار...

ولا يمكن لأي متابع للفن التشكيلي أن يغفل تلك اللوحة الشهيرة للطفل الباكي ولابد أن الكثيرين تساءلوا عن سر بكائه الذي يجيب عنه الفنان الايطالي جيوفاني براغولين إذ اشتهر برسم سلسلة من اللوحات الجميلة لأطفال دامعي العيون في مدينته فلورنسا، وكانت لوحة (الطفل الباكي) الذي تنساب دمعتان كبيرتان على وجنتيه واحدة منها...

كل هذه المشاهد وغيرها تحدث عنها المؤلفون الثلاثة في كتابهم الجديد (الطفل في الرسم) الذي صدر مؤخرا عن دار نشر الفنون الجميلة في فرنسا بأربعمئة وثلاثين صفحة.

منطقة محررة

نجم والي

في البحث عن كافافيس في إسطنبول

٢-٢

لماذا شطبت اسطنبول الشاعر من ذاكرتها؟ لم تفعل المدينة ذلك فقط مع كونتستانتينوس كافافيس، إنما فعلت ذلك مع جورج فوتياديس أيضاً، مع فنانين آخرين، أمثال كاراتودوريس ومابروكورداتوس، أولئك اليونانيين الذين أغنوا كوزموبوليتية هذه المدينة. ما أن ينطق المرء باسم أحد اليونانيين القدماء، حتى يرن الاسم مثل صدى ضرب الأقدام على حيطان قاعات كبيرة خالية. اليوم يعيش في اسطنبول قرابة ٢٠٠٠ يوناني. ذات يوم، كانوا أكثر من ذلك العدد بمائة مرة. أغلب اليونانيين هم من الشيوخ. لا أحد من الشباب يريد البقاء هنا، الطائفة اليونانية صغيرة جداً، لكي تعد أحداً منهم بالمستقبل.

من يريد في اسطنبول أن يأخذ على عاتقه العناية بالمكان الذي أقام فيه الشاعر، الراديكالي النزعة ومؤسس الشعر اليوناني الحديث؟ أين يجب البحث، حيث كل الآثار قد محاها الزمن؟ فقط يورغوس أدوسوغلو يستطيع المساعدة. رجل طاعن بالسن، يلبس بنطلون، بيجامة نوم مخططة، رُسم وشم على ذراع يده اليمنى، جلس مستنداً إلى كرسي عريض يصر عند تحركه. أدوسوغلو الغاطس في الكرسي، يتحدث الإنكليزية والألمانية والفرنسية، وعندما يبدأ في الحديث عن الأسماء القديمة "للعوائل الأرستقراطية في حي ينيكوي، كما يسميهم، يصبح من الصعب مقاطعته أو إيقافه عن الكلام. "لقد كانوا يبدلون ملابسهم مرتين أو ثلاث مرات في اليوم"، يقول تلك الجملة بحسرة، ولأكثر من مرة واحدة.

أدوسوغلو ذاته لم يكن من طائفة النبلاء، أمه جاءت من المدينة الروسية "سيباستوبول"، بينما جاء الأب من "قيصري". أما هو فقد كان "كارامانلي". ذلك هو الاسم الذي يُطلق على كل أولئك الذين يكتبون اللغة التركية بالحروف اليونانية. هل كان أدوسوغلو يحسد السادة الأنيقين؟ إذا كان الجواب نعم، فهو كان قد نسي ذلك، فباستثناء الكرب لم يبق شيء من ذلك الوقت. يحزنه جداً اختفاء الجميع كأن المدينة لفظتهم مع كل موجات التهجير والطرد العديدة التي حدثت بعد الحربين العالميتين والسنوات التي بينهما. وخلال أزمة جزيرة قبرص. "أفينغيديس"، هو الاسم الذي كان يُطلق على آخر العوائل الهيلينية الباقية في ينيكوي، يقول أدوسوغلو، المولود في العام ١٩١٩.

عام ١٩٢٥ صدر العدد الأول عن صحيفة Apojevmatini، التي يرأس تحريرها اليوم أدوسوغلو منذ قرابة عشرين عاماً. الصحيفة التي تُطبع بالحروف اليونانية تصدر بأربع صفحات يومياً. لا يفرح الرجل عند الحديث عن عدد نسخ الجريدة التي هي "بعدد اليونانيين الموجودين". "إذا كان هناك شاعر يوناني ينتسب إلينا فهو الشاعر كفافيس"، يقول الرجل المسن. لكن هل يعرف المكان الذي سكن فيه الشاعر لمدة ثلاث سنوات قبل أن يعود إلى الإسكندرية؟ هل ما زال هناك بيت جده فوتياديس أم هُدم؟ من الصعب على أدوسوغلو الذي باغته السؤال كما يبدو تكوين صورة، لماذا لم يغادر الصحفي الشيخ مثل الآخرين؟ بسبب الجريدة التي لم تعد تملك أي قارئ تقريباً؟ "لقد رأيت العالم كله تقريباً، لكن اسطنبول هي التي أحب".

على عكس اليونانيين الأحياء الذين لا يتذكرون أسلافهم، فعل كونستانتينوس كافافيس كل ما في وسعه للنبش عن أسلافه. ذلك ما شغل به نفسه طوال سنوات إقامته الثلاث في اسطنبول. في النهاية تأتي أمه مثلما هي الحال مع أبيه أصولها من اسطنبول، عاصمة الإمبراطورية العثمانية. الاسم كفافيس يأتي بالأصل من الكلمة التركية ayakkabici "الإسكافي". العائلتان كانتا رغم هذا الاسم تنتميان للطبقة الراقية. لقد دوّن كافافيس العديد من الملاحظات بهذا الخصوص، بحث عند الأقارب عن المعلومات والتفاصيل. فمنه نعرف بأن عائلة الجد انتقلت للفيلا أولاً لعد انتقال سكان الفيلا الأصليين منها. القنصل الفارسي سكن هناك، أستأجر البيت لفصل الصيف. لذلك لم يكن البيت الذي عاشت فيه العائلة بصورة "بائسة" صغيراً. لكن كانت هناك عائلة أخرى قاسمتهم السكن، عائلة العم وزوجته وطفليهما. هل الضيق في البيت هو الذي حمل كافافيس على التجوال عند الشاطئ؟ في "ليلة في قالينديري" يصف كافافيس نزهة مثل هذه قام بها من "ينيكوي" باتجاه "طرابيا"، كما كتب، حيث صلى لـ "أجمل مكانين على الفوسفور، للطبيعة البيزنطية" حيث يلاحظ خصوصية "فرحها": "وديانها وسواقيها وجبالها تضحك دائماً".

من المرتفعات المقدسة تلك لم يبق الشيء الكثير. بدل ذلك ارتفعت أحياء من البيوت الحديثة وشارع رئيسي تسير عليه السيارات، ما تزال هناك بيوت قديمة قليلة. ٥٠٠ فيلا. لكن حتى في الكتيب الصغير الذي يحمله السياح في أيديهم والذي يتحدث عن تاريخ المنطقة وأسماء العوائل التي عاشت هناك لا يعثر فيه المرء على اسم بوتياديس. وشكراً لعجوز يوناني يعيش في حي "ينيكوي" يخبرنا، كيف أن البعض من عائلة بوتياديس عاشت هنا في اسطنبول حتى قبل ثلاثين سنة "في ذلك البيت الذي يقع في مكانه اليوم أشهر مطعم على الفوسفور".

البيت يطل على البحر مباشرة. أنه من الخشب. في الداخل مظلم درجات السلم واسعة وعريضة. المطعم في الطابق الأرضي وعلى طرفه يرتفع البيت. هناك تسكن عائلة. نضرب على الجرس فتخرج لنا امرأة مسنة. نسألها عن عائلة جد كافافيس، "نعم، بوتياديس عاشوا هنا"، تقول لنا المرأة التي تحكي قصتها أيضاً. فنعرف إنها نزلت هنا قبل ٣٥ سنة عندما وُلد ابنها وحصل زوجها على البيت من الكنيسة اليونانية التي تقع مقابل البيت تماماً.

تحت في شرفة المطعم بإمكان المرء أن يمتع عينيه بالمنظر الرائع للبحر والسفن وحيث الطرف المقابل، الجهة الآسيوية من اسطنبول. هناك عمارات عالية في الجهة الأخرى. لكن ذات يوم كانت ترتفع في مكانها جبال تضحك فرحة، ترقص أمام عيني الشاعر.